الباب الثالث

في آدابها وحقوقها ولوازمها

ينبغي ان يختار للوزارة من اجتمعت فيه الاخلاق الحميدة ، والافعال الرشيدة وعرف بالآراء السديدة ، وجودة التدبير ، وصواب الآراء المفيدة فتكون فيه العدالة والنزاهة ، والشجاعة ، والسياسة . واذا كان زمان الصلح[1] والهدنة يصلح ان يكون الوزير حليما ساكنا ، واذا كان زمان الفتن والحروب يصلح ان يكون شجاعا صارما .

قال بعض الفضلاء : شرايط[2] الوزارة خمسة :

اولها[3] : العدل ؛ ليكون منصفا في حكمه ، وتسلم الرعية من ظلم غيره وظلمه .

الثاني: الامانة؛ ليفي بما عليه ، ويستوفي ما له ، ولا يختزل[4] لنفسه، فتسير عماله بسيرته .

الثالث : الكفاية ، وهي العلم بالاعمال الديوانية ، والتصرفات ، ووجوه تثمير الاموال والاستخراجات ، فيضع الامور في مواضعها ، ويرتب الاعمال على قواعدها .

الرابع : السياسة ؛ فيعرف مداراة الجند ، وتأليفهم[5] ، وجمعهم

---

(١) في ب ، جـ ، د السلم .
(٢) في ب شروط .
(٣) في ب الاول وسقطت الكلمة من جـ ، د .
(٤) في ب يختزل ، واختزل الوديعة خانها ، وامتنع عن ردها .
(٥) في د تآليفهم .

وتفريقهم ، ويكون خبيرا بالمكائد الحربية[٦] ، والخدع ، وحفظ البلاد ، والثغور ، والقلاع .

الخامس : ان تجتمع فيه الخشونة واللطف ، فيخشن على القوي حتى يُلين عريكته ، ويلين للضعيف حتى ينال من الانصاف بغيته ، ويكون بذلك مقداما على المخاوف ، جسوراً على الاهوال ان اضطر اليها . محجما عن التغريرات[٧] ان منع الرأي السديد عنها .

وقال ابو زيد البلخي[٨] في صفة الوزير الكامل : ينبغي ان يكون جامعا لخصال الخير ومحاسن الشيم ، تجتمع فيه البشاشة ، والوقار ، والحلم ، والهيبة ، والاقدام والثبات ، ليضع كل شيء في موضعه . هذا مع العفة والنزاهة ، وعزة النفس . والعلم بضاعة الكتابة ، وضوابطها ، وحسن العبارة ، والعلم بالسير والاخبار الماضية ، فانها تفيد الاطلاع على التجارب ، والعوائد ، وليكن ذا هيبة[٩] جميلة ، وصورة مقبولة ، وان كان قد بلغ اشده وبلغ الاربعين[١٠] سنة كان احمد واوفق ، واكثر حكمة وتجربة .

وقال غيره : ينبغي أن يكون الوزير الفاضل ذا هيئة[١١] ، وهيبة ، يسكته الحلم ، وينطقه العلم . له خط وبلاغة في ايجاز ، وفصاحة ، وتوصل

---

(٦) زيادة من ب ، ج .
(٧) التغرير : التعرض للهلاك .
(٨) هو احمد بن سهل ، ولد في بلخ سنة ٢٣٥هـ ، وتوفي نحو سنة ٣٢٢هـ ، عرضت عليه الوزارة فرفضها ، وكان معلماً للصبيان ، ثم رفعه العلم ، فكان يجمع بين العلوم القديمة والحديثة ، ويسلك في مؤلفاته طريق الفلاسفة ، انظر (الفهرست ٢٤٠) .
(٩) في د هيبة .
(١٠) في د أربعين .
(١١) في د هيبة .

الى الاغراض وتأت[١٢] في المخاطبات • والاصل في ذلك الديانة والامانة والنزاهة •

وقيل : اضر[١٣] ما على الملك ان يكون وزراؤه[١٤] ، ونوابه يجيدون القول ، ولا يجيدون العمل ، فيركن الى اقوالهم ، وتختل المملكة باهمالهم ، او بقبح[١٥] اعمالهم • وقال بعض الحكماء : اذا رأيت الوزير يجمع المال لنفسه فابعده ، فلا خير فيه ؟ لان حب المال يغطي على العقل ، ويمنعه عن مشاهدة المصالح • واذا رأيت الوزير يحب الصيت ، والذكر لنفسه مع اهمال جانب الملك ، فلا خير فيه ، فانه قد كفر نعمة الملك ، وهو السبب فيما نال من ذلك •

وكانت الاكاسرة تشترط في اتخاذ الوزير سلامة الحواس ، وسلامة الاعضاء ، وجمال الصورة ، مع ما سبق ذكره من العقل ، والرأي ، والهيبة والوقار ، وغير ذلك • وان انضاف[١٦] الى ذلك ان يكون حسن الخط ، واللفظ له[١٧] علم بالمساحة والهندسة والحساب ، وتصرف في الامور السياسية ، والتدابير الملوكية ، واطلاع على تواريخ الامم ، وتجارب الاوائل• وكان صادق القول ، عالي[١٨] الهمة ، شريف النفس ، غير حسود ، ولا غضوب ، ولا ملول ، ولا شره ، ولا خمير[١٩] ، ولا [هزول][٢٠] ، ولا

---

(١٢) تأتى للامر تهيأ له واتاه من وجهه •
(١٣) ، ب آخر •
(١٤) في ب وزير •
(١٥) في ب يقبح •
(١٦) في ب تضاف •
(١٧) ساقطة من د •
(١٨) في ب على الهمة •
(١٩) في أ غمز والتصويب من ب ، جـ •
(٢٠) الزيادة من د •

غفول فقد كملت فيه آلات الوزارة ، وصلح لتدبير الممالك .

ولقد اشار بعض الشعراء الى بعض من نال الوزارة وهو عريٌ عن هذه الخلال فقال[٢١] :

لا كمـال" لاجمـال" لا بيـان لا عبـــاره[٢٢]
هكذا الرسـم لديكم ايـن آلات الـوزاره[٢٣]

ولبعضهم في مدح الوزير ابي نصر العتبي[٢٤]

جمع الله للوزير ابي نصـر خصالا تعلو بها الاقدار[٢٥]
خطه روضة والفاظه الازهار يضحكن والمعاني ثمار[٢٦]

---

(٢١) البيتان لابى محمد السلمي في اليتيمة ٤ : ٩١ مع بيت ثالث هو :
لا يرى ردّ سلام الناس الا بالاشارة

(٢٢) روايته في اليتيمة :
لا رواء لا بهاء لا بيان لا عبارة

(٢٣) روايته في اليتيمة : أنا اهواك ولكن أين آلات الوزارة ؟

(٢٤) ابو نصر العتبي : ذكر الثعالبي ترجمتين الاولى لابى نصر العتبي الكبير احد وجوه العمال في خراسان وفضلائهم . والثاني وهـــو المشهور ابو نصر محمد بن عبدالجبار العتبي ، قدم على خاله ابى نصر المذكور ورعاه اجمل رعاية ، ثم تنقلت به الاحوال فصار كاتباً للامير ابى علي ثم للامير ابى منصور سبكتكين مع ابى الفتح البستى، ثم النيابة بخراسان لشمس المعالي واستوطن في نيسابور (اليتيمة ٤ : ٣٩٧ وما بعدها) .

(٢٥) بعده في اليتيمة ٤ : ٣١٩ .
راحةٌ ثرةٌ وصدراً فضاءٌ وذكاءٌ تبدو له الاسرار

(٢٦) ورد في اليتيمة ٤ : ٣١٩ ان هذين البيتين مع البيت الآخر في الهامش السابق لابى الفتح البستي في مدح ابى نصر احمد بن علي الميكالى .

فصـــل

لعمرو بن مسعدة[٢٧] في وصف وزير[٢٨]

إني[٢٩] التمست لاموري رجلا جامعا لخصال الخير ، ذا لطف[٣٠] في حلائقه ، واستقامة في طرائقه ، قد هذّبته الآداب ، واحكمته[٣١] التجارب • ان ائتمن على الاسرار كتمها ، وان قلد مهمات الامور نهض بها • يُسكته الحلم ، وينطقه العلم ، تكفيه اللحظة ، وتغنيه اللمحة • له صولة الامراء ، واناة الحكماء ، وتواضع العلماء ، وفهم الادباء • يسترق قلوب الرجال بحلاوة كلامه ، ويعجز الفضلاء بفصاحة لسانه ، وحسن بيانه ويودع محبته القلوب بلطائف احسانه • ان أُحسن اليه شكر ، وان ابتلى بالاساءة صبر وانتظر ، فهذا الذي يصلح ان تعقد[٣٢] به الامور وتفوض[٣٣] اليه سياسة الجمهور[٣٤] •

---

(٢٧) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول ، احد الكتاب البلغاء ، وكان يوقع بين يدى جعفر بن يحيى البرمكي ايام الرشيد ، واتصل بالمأمون ، فرفع مكانه وجعله وزيره ، انظر الجهشياري ٢٥٨ ، ٢١٦، وفيات الاعيان ١ : ١٦١ •

(٢٨) في ب الوزير وفي ج أمير •

(٢٩) وردت هذه الفقرة في الاحكام السلطانية للماوردي ص٢٠ مع بعض الاختلاف ، ونسب القول الى المأمون •

(٣٠) في ب الطف •

(٣١) في ب حنكته •

(٣٢) في د يحدق •

(٣٣) في الاصول ويفوّض •

(٣٤) هذه الجملة ابتداءً من كلمة (وانتظر) ساقطة من رواية الاحكام السلطانية : ٢٠ وحلت محلها : لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه ، وحسن بيانه » •

وقال ابو الفتح البستي في الصاحب بن عباد :

فتىً جمع العلياء علماً وعفةً وبأساً وجوداً لا يفيق فواقا[٣٥]

كما جمع التفاح حسناً ونضرة ورائحة محبوبة[٣٦] ومذاقا[٣٧]

(٣٥) اي لا ينقطع جوده وبأسه ٠

(٣٦) في ب مختومة ٠

(٣٧) البيتان في التمثيل والمحاضرة ٢٧٠ ، يتيمة الدهر ٤ : ٣١٨ ٠

obeikandl.com

فصل

في حق الملك على الوزير ، وحق الوزير على الملك

جملة ما يلزم[٣٨] الوزراء من الحقوق للملوكهم ثلاثة : الاخلاص في النصيحة ، وبذل الجهد في اقامة صحة المملكة ، ودفع الآفات عنها • واما تفصيل ذلك فهي حقوق متعددة منها مستحبة ، ومنها متأكدة ، ومنها[٣٩] الاخلاص في النصيحة ، والود ، فلا يضمر له غشاً ، ولا يدخر عنه مالاً ، ولا نفساً ، ولا يداجي[٤٠] عليه عدواً ، ولا يطوي عنه نصيحة يحتاج الى اعلامه بها •

ومنها : اظهار محاسنه ـ ان خفيت ـ ونسبة افعال الخير اليه ، وستر مساويه ـ ان ذكرت ـ وتتبع من يخالف ذلك ، حتى يزيله عنه اما بقمع او باحسان •

ومنها : التواضع له ، والاجلال لقدره في الحضور والغيبة • وقد قيل: كلما زادك الملك اكراما فزده تواضعا ، ويتقاصر فيما يضاهيه من تجمل ، او تنعم ، او مقاربة[٤١] في مسكن ، او مركب ، او ملبس او حشم • واذا فهم ان له غرضا في شيء مما عنده تركه له •

ومنها : تنفيذ اوامره ، بعد ان يتأملها فان رأى[٤٢] خللا سده ، او

---

(٣٨) في ج يلتزم •
(٣٩) في ج ، د اولها
(١٤٠) في د يداحى •
(٤١) في د متفاوتة ز
(٤٢) الكلمة سقطت من ب •

خاف مكروها سعى في ازالته . والادب في ذلك ان يجيب بالسمع والطاعة ويوقف الامضاء بنوعٍ من التعاويق ، ثم يراجع الملك على خلوة ، فان تعذر فبمكاتبةٍ ، ويوضح ما ظهر له من الرأي ، وما يخشاه من الخلل ، ثم يعمل بما يوافقه عليه ، ويقرره معه .

قال افلاطون : اول ادب الوزير ، و [رياضته][٤٣] : ان يتأمل اخلاق الملك ، فان كانت شديدة عامل الناس باللطف ولين الجانب ، وان كانت لينة عاملهم بقوةٍ وصرامة غير مفرطة ؛ ليعتدل التدبير .

ويقال : ان معاوية كتب الى زياد : ليكن بيني وبينك في سياسة الرعية شعرة ممدودة ، ان شددتُ طرفها فارخها ، وان أرخيت طرفها فاشددها . فانّا[٤٤] ان شددنا جميعا انقطعت[٤٥] .

وسبب هذه الرسالة ان بعض امراء العرب نقم عليه معاوية فابعده فسار الى زياد فقبله ، وانزله ، ثم خاف[٤٦] من انكار معاوية عليه ، فبعث يستأذنه في امره ، فاجابه بهذا[٤٧] الجواب[٤٨] .

---

(٤٣) زيادة من ب ، ج وهي في د رياضتها .

(٤٤) في ب فأما .

(٤٥) جاء في عيون الاخبار ١:٩ : قال معاوية : لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : كنت اذا مدّوها خليتها ، واذا خلوها مددتها .
وانظر العقد الفريد ١ : ١٠ ، ونهاية الارب ٦ : ٤٤ .

(٤٦) في ب فخاف .

(٤٧) في ب ، د بذلك .

(٤٨) جاء في لباب الآداب ٥٢ قال زياد بن ابيه : ما غلبني معاوية في شيء من أمر السياسة الا في شيء واحد وذاك أني استعملت رجلاً على دست ميسان فكسر الخراج ولحق بمعاوية فكتبت اليه أسأله أن يبعثه اليّ فكتب اليّ : بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد : فانه =

ومنها : تعجيل عطاياه ، واوامره سيما اذا علم اعتناءه[٤٩] به او تأكيده الوصية في حقه . وكذلك يجب تعجيله[٥٠] ما يطلق لولاة الثغور[٥١] والحروب والفيوج[٥٢] ، والرسل . فان هذه امور ان أخرت عن اوقاتها كثرت مضراتها ، والملوك تغضب لردّ اوامرها ، وتوقيف اعطياتها ، وهباتها ، الا اذا كان الوزير ممن قد فهم ان مراد الملك التوقف ، فليمطل ، ولا يشعر احدا[٥٣] ، بانه رأى الملك فانه لؤم لا ينسب اليه .

ومنها السعي في عمارة البلاد ، واصلاح خللها ، وتثمير الاموال ، والمزروعات[٥٤] ، وتحصيل آلات العمارة ، والترغيب في ذلك ، فان بالعمارة تغزر الاموال ، وبالاموال تشمخ[٥٥] الممالك ، وتكثر الاعوان .

ومنها حسن النظر في امر الجند ، فلا يؤخر عنهم العطاء ، ولا يلجئهم الى الشغب ، والغوغاء ، ويسوسهم[٥٦] بما يديم طاعتهم ، ويؤلف كلمتهم . وقد بينت سياسات الجند في كتابي في الحروب .

= ليس ينبغي لمثلي ومثلك ان نسوس الناس جميعاً بسياسة واحدة ان نشتد جميعاً فنجرحهم ، او نلين جميعاً فنمزجهم ؛ ولكن تكون أنت على الفظاظة والغلظة واكون انا الى الرأفة والرحمة ، فاذا هرب هارب من باب وجد باباً فدخل فيه والسلام ، انظر العقد الفريد ٥ : ١٠٦ وعيون الاخبار ١ : ٩ والنويري ٦ : ٤٤ .

(٤٩) في أ ، د اعتناؤه .
(٥٠) في ب بتحيله .
(٥١) في ب النفوذ .
(٥٢) في أ ، ب الفتوح ، والفيوج : جمع فَيج وهو رسول السلطان على رجله (فارسي معرّب) انظر لسان العرب (فيج) .
(٥٣) في ج ، أ احد» والتصويب من ب ، د .
(٥٤) في د المزروعات .
(٥٥) في ب تسنخ .
(٥٦) في أ ويسومهم (٣ب) لم نعثر على اسم هذا الكتاب ضمن مؤلفات الثعالبي .

واذا اعتدلت سياستهم استقامت مع الملك سيرتهم ، وامنت مضرتهم .

ومنها : القيام بمصالح الملك الخاصة في ترتيب آلاته ، ودوره ، ومطابخه ، ونفقات غلمانه ، وحشمه ، ودوابه ، فلا يكون في ذلك توقف ، ولا تقصير ، وكذلك لا يغفل عن امر حراسة الملك ، وحفظه ، وان يندب لذلك من يوثق به ، ولا يغفل عنه في ليل ولا نهار ، ولا في اوقات نومه ، ويقظته ، وخلوته ، سيما في وقت انسه ، وسكره ، فان ذلك مما يجب ان يمعن فيه النظر ، ولا يتساهل فيه .

وبلغني ان المأمون خرج في عشية يوم من مقصورته[٥٧] الى الدار المعروفة بدار العامة ، فرأى الحسن بن سهل[٥٨] جالسا فيها ينظر في الاعمال ، وينفذ الاشغال ، فسأل عنه ، فقيل : انه من الصبح هنا ، ولم يمضِ الى منزله ، فلما رآه الحسن قام مبادرا الى بين يديه ، فقال : تعبت اليوم يا ابا الفضل ، فقال : لا اعد تعبا ما كان لراحة[٥٩] امير المؤمنين وفي خدمته ، فاستحسن منه الجواب .

وقال عبدالحميد الكاتب[٦٠] : اتعب قدمك فكم قدم قدَّمك[٦١] .

---

(٥٧) في أ ، ب قصوره .

(٥٨) الحسن بن سهل بن عبدالله السرخسي ، وزير المأمون واحد كبار القادة والولاة في عصره ، كان اديباً فصيحاً ، حسن التوقيعات ، توفي سنة ٢٣٦هـ ، انظر الوزراء والكتاب ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٠٥ ، تاريخ بغداد ٧ ، ٣١٩ .

(٥٩) في ب ما كان فيه راحة .

(٦٠) عبدالحميد الكاتب ، بن يحيى بن سعد من أئمة الكتاب ، كان جده مولى للعلاء بن وهب العامري ، اختصه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وعنه قيل : فتحت الرسائل بعبدالحميد وختمت بابن العميد . قتل مع مروان سنة ١٣٢هـ ، انظر اخباره في الوزراء والكتاب ٧٢ فما بعدها .

(٦١) في نهاية الارب ٦ : ١٢٩ : اتعب قدمك فكم قدم قدمك ، وفي قوانين الوزارة ١٢٩ : اتعب قدمك فكم تعب قدمك .

ومنها : ان لايعارضه في خواصه ، وبطانته ، ولا في حرمه ، واصاغره ، فانه اليهم اميل ، وهم عليه اقدر ، ولا يستكثر لهم العطاء ، ولا يمطلهم في الصلات[٦٢] والحباء ، فان كان فيهم من يشين الملك تقريبه ، او يخاف غائلته فيتلطف في ايصال ذلك اليه على لسان غيره[٦٣] ، او يعرض به في ضمن الحكايات ، والاشارات دون التبكيت والتعيير[٦٤] ، حتى لا يتمقت اليه بابطال اغراضه[٦٥] ، وتنغيص مسراته فكم قد عادت هذه بمضرات[٦٦] على قائليها ، حيث لم يتلطفوا فيها .

---

(٦٢) في الاصول الصلاة والتصويب من د .
(٦٣) في ب الملك .
(٦٤) في أ التعبير وفي ب ، د التغيير .
(٦٥) في أ اعراضه .
(٦٦) من كلمة (وتنغيص) الى (بمضرات) ساقطة من نسخة ب .

obeikandl.com

فصـــل

في حقوق الوزراء على الملوك[٦٧]

واما ما ينبغي للملك ان يعتمده[٦٨] في حقه ـ وهي من الحقـوق السياسية المصلحية على الملك ـ منها :

ان يمكنه من التصرف ، ويحكمه في التدبير ان كان وزيراً مطلقا ؛ حتى تنفذ تصرفاته ، وتستقيم سياساته .

ومنها : ان يرفع من قدره ، وينوه[٦٩] باسمه بما يتميز عن ابناء جنسه بتشريفه[٧٠] في ملبسه ، ومركبه ، وموكبه ، ومجلسه ، وفي تلقيبه ، وتكنيته على[٧١] ما تجري به عادة اصطلاح ابناء الزمان .

ومنها : ان لا يسمع كلام الوشاة والمتعرضين ؛ فانه مقصود ومحسود ، والحسود لا يبقي ولا يذر . بل يجب ان يعرض له بما بلغه عنه مما[٧٢] يكرهـه او لا يستصوبه ، فان كان صحيحا اعتذر ، ولم يعـد ، وان كان كذبا ، وتمويها برهن عن نفسه ليزول الشك فيه .

قال المتوكل لاحمد بن ابي دؤاد[٧٣] : قد رفعت اليّ سعايات في

---

(٦٧) في ب الملك .
(٦٨) في ج يعتمد .
(٦٩) في د يعرف .
(٧٠) في أ ، ب تشريف .
(٧١) في أ ، بما .
(٧٢) في أ بما .
(٧٣) احمد بن ابي دؤاد ، يكنى ابا عبدالله القاضي ، قال عنه ابن خلكان ١ : ٦٣ ، ٦٤ : انه كان معروفاً بالمروءة والفضيلة وله مع المعتصم أخبار . أصيب بالفالج أول خلافة الواثق ، وتوفى سنة ٢٤٠هـ ، وانظر الاقتباس ١٥٨ .

حقك . فقال : لاعجب ان أُحْسَدَ على مكاني من امير المؤمنين .

وقال بعض حكماء الفرس : على الملك لوزيره اربعة حقوق (هي)[٧٤]: ان لا يؤاخذه بغير حق ثابت ، ولا يطمع في ماله بغير خيانة ولا يقدم عليه من هو دونه بالكفاية ، ولا يمكن منه عدوا[٧٥] .

ومنها : المشورة في الامور ، وهي وان كانت مشتركة بين العقلاء الا انها بالوزراء الزم ، وسيأتي ذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى .

---

(٧٤) ساقطة من ب ، ج ، د .

(٧٥) النص في ادب الوزير للماوردى ٢٦ ، وفي نهاية الارب ٦ : ١٢٢ ، مع بعض الاختلاف .

obeikandl.com

فصـــل

يشتمل على نبذ من [لطايف][٧٦] جرت بين الملوك والوزراء

لما استخلف المأمون على العراق الحسن بن سهل خرج ليودعه فلما اراد الرجوع من توديعه قال له : اذكر[٧٧] يا ابا محمد حاجتك[٧٨] ان كانت لك . قال : نعم يا امير المؤمنين : احفظ عليّ من قِبَلَك ما لا استطيع حفظه الا بك[٧٩] .

---

(٧٦) زيادة من ج ، د .
(٧٧) سقطت الكلمة من ب .
(٧٨) في د : حاجة وكذا في الوزراء والكتاب : ٣٠٥ .
(٧٩) الخبر في الوزراء والكتاب : ٣٠٥ .
زيادة من النساخ :
وسمعت الكمال بن جهير يحكي : ان الوزير عون‌الدين بن هبيرة كتب الى الخليفة المستنجد بالله يتودد اليه ، ويشكره :

اقسمت بالآيات والكلمات من نصّ الكتابِ
وبباسط الارض القرارِ وسامك السبع الصلابِ
اني احبك مخلصاً من غير شك وارتيابِ
واحب ملكك للدنا ما بين بعد واقترابِ
فلأنصحنك ما حييت واجعلن رضاك دابي
ولأنفقن فيك الحياة واشركنك في التراب